

تأثير اللغة العامية في اكتساب اللغة العربية الفصحى لدى المتعلمين في الوسط المدرسي

The Impact of Colloquial Language on the Acquisition of Modern Standard Arabic among Learners in the School Environment

بن دادش محمد

لوسرة محمد*

جامعة مصطفى اسطنبولي معسكر

جامعة مصطفى اسطنبولي معسكر

mohammed.bendadache@univ-mascara.dz

mohamed.lousra@univ-mascara.dz

تاريخ القبول: 2025-12-25

تاريخ الإرسال: 2025-07-16

ملخص:

تشهد اللغة العربية الفصحى في العصر الراهن تراجعاً ملحوظاً في مكانتها، نتيجة التوسع المتزايد في استعمال اللهجات العامية، التي باتت تزاخمها في مختلف مجالات التواصل، وتؤثر سلباً على بنيتها الصوتية والنحوية والدلالية. وقد ساهم هذا التداخل اللغوي في إضعاف الهوية اللغوية لدى الناشئة، حيث انعكس أثره بوضوح على الأداء اللغوي للمتعلمين داخل المؤسسات التعليمية. وانطلاقاً من هذا الواقع، تهدف هذه الدراسة إلى رصد تأثيرات العامية على تعلم اللغة العربية الفصحى لدى المتدربين، من خلال تحليل الانحرافات اللغوية التي تمس المستويات الصوتية، والصرفية، والنحوية، والدلالية، والمعجمية. وتعتمد الدراسة المنهج الوصفي التحليلي للإجابة عن الإشكالية الرئيسة التالية: إلى أي مدى تؤثر العامية في تعلم الفصحى لدى المتعلمين في الوسط المدرسي؟

الكلمات المفتاحية: تأثير؛ عامية؛ لغة؛ فصحى؛ متمدسين

Abstract:

Modern Standard Arabic (MSA) is experiencing a noticeable decline in its use due to the growing influence of local dialects. These dialects interfere with MSA in communication, affecting its phonological, grammatical, and semantic structures, and weakening students' linguistic identity. This study investigates the impact of colloquial Arabic on learners' acquisition of MSA in school environments. It focuses on various linguistic deviations, including phonological, morphological, syntactic, semantic, and lexical aspects. The research adopts a descriptive-analytical approach to explore the extent to which colloquial speech influences students' ability to learn and use MSA effectively in academic and everyday contexts.

* - المؤلف المرسل

مقدمة:

تعد اللغة العربية إحدى فروع اللغات السامية التي لا تزال تحافظ على منزلتها الراقية في مصاف اللغات العالمية كيف لا وقد نزل بها القرآن الكريم؛ مما اكسبها صفة العالمية بسبب توافد خلق كثير على تعلمها ممن اعتنق الإسلام؛ غير أن اللغة العربية الفصحى أصبحت في هذا العصر الحديث تجابه خطراً جسيماً بفعل ما يزاحمها من اللهجات العامية التي ما فتئت تهدد كيانها، وتنخر لبائها حتى أضحت تأثيرها جلياً على الألسنة والأقلام؛ واكتسح المجتمع العربي بما في ذلك الأسر والإعلام وحتى المؤسسات التربوية والأوساط التعليمية.

وعليه تهدف الدراسة إلى الكشف عن الأثر الذي تتركه العامية أو اللهجة بشكل عام في مستوى الخطاب باللغة الفصحى عند الممارسة في الواقع اللغوي لدى المتعلمين في الوسط المدرسي، وكذا تحليل بعض الانحرافات عن مسار القواعد الصوتية والصرفية، والنحوية، والدلالية، والمعجمية منطلقاً في ذلك من إشكاليته مفادها: ما مدى تأثير العامية على تعلم اللغة العربية الفصحى في الأوساط التعليمية عند الطلاب و المتدربين؟ وما تجليات الانحرافات التي تقع على مستويات اللغة بسبب استعمال العامية عند العملية التعليمية؟

للإجابة عن هذه التساؤلات انتهج المقال المنهج الوصفي وفق خطة تبدأ بمقدمة وتنتهي بخاتمة وبينهما خمسة مباحث هي:

1. تعريف العامية:

1.1- لغة: العامة خلاف الخاص سميت بالعامية؛ لأنها تعم البشر، والعَمَمُ: العامةُ اسْمٌ لِلْجَمْعِ؛ وَيُقَالُ: رَجُلٌ عَمِيٌّ وَرَجُلٌ قُصْرِيٌّ، فالْعَمِيُّ العامُّ، والقُصْرِيُّ الخاصُّ¹.

1.2- اصطلاحاً: ورد في تعريف العامية مفاهيم وتعريفات عديدة ومتنوعة، تارةً بمفهوم العامية وتارات أخرى بمفهوم اللهجة نذكر منها: تعريف إبراهيم أنيس حيث عرفها: "هي مجموع من الصفات اللغوية تنتهي إلى بيئة خاصة ويشترك في هذه الصفات

1- انظر: ابن منظور، (1990م)، لسان العرب، مج 12، ط1، دار صادر، بيروت، لبنان، ص: 426

جميع أفراد هذه البيئة¹، وعرفها علي ناصر غالب بقوله: "هي مجموعة من الخصائص اللغوية التي تنتمي إلى بيئة معينة، ويشترك فيها جميع أفراد هذه البيئة التي تعد جزءاً من بيئة أكبر تضم لهجات عديدة وتتميز عن بعضها بظواهر لغوية"².

أما عبد الرحمن الحاج صالح فعرفها بقوله: "هي اللغة المستعملة اليوم ومنذ زمان بعيد في الحاجات اليومية وفي داخل المنزل وفي وقت الاسترخاء والعفوية"³.

يتبين من مجموع التعاريف اللغوية والاصطلاحية أنّ العامية تُطلق على اللغة التي يشترك أفراد بيئة اجتماعية معينة في استعمالها داخل سياقاتهم اليومية العفوية. فمن جهة أصلها اللغوي، ترتبط العامية بما هو شائع بين عامة الناس في مقابل ما يختص به الخاصة. أما من جهة الاصطلاح، فتدلّ على مجموعة من الخصائص والصفات اللغوية التي تميّز جماعة لغوية محددة ضمن إطار اجتماعي أو جغرافي معين، بحيث تشكل جزءاً من منظومة لغوية أوسع تضم لهجات متعدّدة. وتمتاز العامية بكونها أداة التواصل اليومي في المواقف الطبيعية غير الرسمية، داخل الأسرة والمحيط الاجتماعي، على خلاف اللغة المعيارية المستعملة في السياقات الرسمية والعلمية. وبناءً على ذلك، يمكن القول إن العامية تمثل الجانب التداولي الحيّ من اللغة، المتشكّل عبر الاستعمال الاجتماعي، والمتفاعل مع حاجات المتكلمين وثقافتهم.

2. تعريف الفصحى

1.2- لغة: ورد في لسان العرب: "فصح، الفصاحة: البيان؛ فصّح الأعجمي، بالضمّ فصّاحة: تكلم بالعربية وفهم عنه، وقيل: جادت لُغته حتّى لا يلحن، وأفصح: تكلم بالفصاحة"⁴، وجاء في القاموس: "الفصح والفصاحة؛ البيان، اللفظ الفصح ما يدرك

1- إبراهيم أنيس، (2002م)، في اللهجات العربية، دط، مكتبة الأنجلو المصرية، مصر، ص: 15

2- علي ناصر غالب، (1989م)، اللهجات العربية لهجة قبيلة أسد، ط1، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ص: 31- 32

3- عبد الرحمن الحاج صالح، (2010م) العربية بين المشافهة والتحرير، مجلة فيلادلفيا، الملكة الأردنية الهاشمية، العدد 6، ص74

4- ابن منظور، (1990م)، لسان العرب، مج2، ص544

حسنه بالسمع وفصح الأعجمي ككرم؛ تكلم بالعربية وفهم عنه أو كان عربيا فازداد فصاحة..."¹.

نخلص بذلك أن الفصاحة في كلام العربي تأتي بمعنى البيان والإيضاح وتأتي بمعنى سلامة اللسان من اللحن والخطأ.

2.2- اصطلاحا: اللغة الفصيحة هي اللغة التي تتقيد بقوانين خاصة وتلتزم بقواعد محكمه تضبطها صوتا ونحوا وصرفا ومعجما ودلالة؛ "فهي لغة الأدب والعلم، وهي لغة التعليم والمحاضرات في الجامعة، وهي خالية من الألفاظ العامية والسوقية أو المبتذلة، كما تراعى فيها الدقة في اختيار المفردات وأصول الصحة النحوية"². وهي اللغة التي كانت عليها بلاد نجد والحجاز وقت نزول القرآن الكريم³.

يتضح من مختلف التعريفات الاصطلاحية أنّ اللغة الفصيحة هي النظام اللغوي المعياري الذي تضبطه قواعد راسخة في الأصوات والصرف والنحو والدلالة والمعجم، بحيث تشكّل اللغة المعتمدة في ميادين العلم والأدب والتعليم والخطاب الرسمي. وتمتاز هذه اللغة بانتقاء مفرداتها بدقة وبخلوها من الألفاظ المبتذلة والعامية، وبالتزامها أصول الصحة اللغوية التي تضمن وضوح التعبير وسموّ الأسلوب. كما تُعدّ الفصحى الامتداد المباشر للغة العربية التي كانت سائدة في بيئات نجد والحجاز زمن نزول القرآن الكريم، وهو ما أكسبها مكانة معيارية جعلتها المرجع الأعلى في سلامة الاستعمال اللغوي

3. آثار العامية في تعلم الفصحى لدى المتعلمين

إن إبراز هذه الآثار يمكن توضيحه من خلال مظاهر من المستوى الصوتي مثل؛ الإبدال والقلب والحذف...، ثم بعد ذلك المستوى الصرفي من خلال ذكر أمثلة توضح صعوبة هذا المجال في ضوء الخطاب اللساني كتعامل المتدربين مع الضمائر والمقصود والممدود...فهذه المواضيع وغيرها قد تختلف جذريا من العامية إلى الفصحى، وأتصور أن هذا الطرح ينسحب أيضا على المستوى النحوي الذي سيكون مبحثا آخر نمثل له ببعض

1- الفيروز آبادي، (2005م)، القاموس المحيط، تحقق: محمد نعيم العرقسوسي، ط8، مؤسسة الرسالة

للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ص 234

2- محمد علي الخولي، (2000م)، مدخل إلى علم اللغة، ط1 دار الفلاح للنشر والتوزيع، عمان، ص 167

3- علي عبد الواحد وافي، (2004م)، فقه اللغة، ط3، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ص 120

المسائل كالتذكير والتأنيث وغيرها من القضايا اللغوية التي تورد المتحدثين بالفصحى عند الممارسة الفعلية. أما المستوى الدلالي والمعجمي فهما أيضا لا يخلوان من هذا الأثر ما دامت الأساليب والمعاني هي كذلك تختلف من اللهجة إلى الفصحى في أحيان كثيرة. أحاول من خلال الأمثلة المختلفة التي سأعرضها في تلك المستويات أن أبرز بعض الآراء الشخصية، ما دام هذا البحث ميدانيا قائما على الاجتهاد والخبرة الشخصية المتواضعة التي حتما ستكون نسبية؛ لأنها لا تخلو من الذاتية مهما كان هذا الاجتهاد. وبما أن الفصحى مبنية على نظريات لسانية ومعايير تضبطها مختلف القواعد؛ فإن متعلم الفصحى يحرص تمام الحرص على الممارسة الفعلية من أجل تجسيدها على أرضية الواقع دون خلل ، غير أن هذا الطرح يصطدم بواقع لساني يتمثل في تعود المرء على التكلم بلغة عامية قد تختلف تماما عن حال لغة المتعلمين، و من هنا يصعب التحكم في ضبط اللسان العربي الفصحى بدقة وانتظام فتكون الآثار التي تتركها العامية في لغة المتعلمين سلبية على المستويات كافة، ومن هذه المستويات المستوى الأول في تشكيل اللسان العربي ألا وهو المستوى الصوتي.

4. المستوى الصوتي:

أثناء الحديث تطرأ مجموعة من التغيرات الصوتية تتنوع بين الإبدال و الحذف والقلب والتخفيف ...، هذه المظاهر اللسانية في المجال الصوتي موجودة في العربية الفصحى و في اللهجة أيضا، إذ نجد البعض قد اعتاد نطق الغين (غ) قافا(ق) كما هو حال بعض مناطق الهضاب الغربية في الجزائر نظرا لتقارب الغين والقاف ؛ إذ الغين من أدنى الحلق والقاف من اللهاة، كنطق (غريب)(قريب)، كذلك نطق البعض الضاد طاء ب(ندرومة) أقصى الغرب الجزائري لأن الصفة الجامعة لهذين الحرفين هي صفة الإطباق والاستعلاء، ويمكننا التمثيل أيضا بالإبدال الحاصل بين الضاد والطاء، وهذا الإبدال الموجود في العامية يبقى أثره في الفصحى ولكن الخطورة تكمن أثناء الاستعمال في اللسان العربي بسبب الانحراف التام عن الدلالة المقصودة و خصوصا في القرآن الكريم، ولتوضيح الأمر نركز على الإبدال الحاصل بين الضاد والطاء؛ لأن هذا الانحراف يكاد ينطبق على المتحدثين العرب برمتهم ، وكذلك على سبيل المثال؛ منطقة (وهران و معسكر) الواقعتين في الغرب الجزائري حتى وإن كانت المسافة بينهما لا تتعدى تسعين كيلومترا؛ فساكن (وهران) ينطقون الطاء المشالة ضادا، و المعسكريون ينطقون الضاد طاء؛ هذا التغير الطارئ ينجم عنه

اختلال دلالي، نظير ذلك قوله تعالى: "وَجُودٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ (22) إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ (23)"¹ فإن قراءة هذه الآية تكون مغلوطة إذا كان هناك انحراف بسبب الإبدال الواقع بين الضاد و الظاء .

والحال أن التغيرات الصوتية الحاصلة متعددة تكون في كثير من الأحيان حاجزا أمام تعلم التلاميذ؛ بسبب العادات اللغوية كنطق الجيم الشديدة رخوة الأمر الذي يؤدي بها إلى نقلها شيئا (ش) وخاصة إذا تلاه حرف مهموس كالتاء (ت) في مثل: مجتمع ومجتهد؛ فإن المعلم المتأثر بعاميته ينطق الكلمتين بالشين فيستلزم هذا أن يكتبها التلميذ كما يسمعا . كما أن اللغة الفصحى لا تختلف كثيرا عن العامية من حيث مظاهر الإبدال ، القلب، الحذف و غيرها من العناصر التي تدخل في المستوى الصوتي، و عليه لا بأس أن نستشهد بأمثلة من الفصحى تثبت صحة ما نقول، فالسيوطي يذكر في باب الإبدال الوارد في كتاب المزهر في علوم اللغة وأنواعها: "الإبدال الحاصل بين بكة ومكة، وأرق وهرق، و شازب وشاسب ؛ إذ تقول أرقت الماء و هرقته والشاسب و الشازب بمعنى الضعيف ويطلق على الخيل أو الناس"² . يلحظ في الأمثلة المذكورة من الفصحى أن الإبدال أيضا وقع بين الحروف المتقاربة في المخرج مثل: الهمزة (أ) و الهاء (هـ) وهما من أقصى الحلق و بين الباء (ب) و الميم (م) الشفويين و بين السين (س) و الزاي (ز) الأسليين...

و من المظاهر الصوتية و الصرفية معا التي كانت و ما تزال عادة عند العرب سواء في لغتهم الفصحى أو في لهجاتهم المختلفة مظهر القلب الذي هو استبدال حرف مكان حرف إما لسبب الخفة وهذا هو الراجح أو لخطأ شاع و ذاع أو كما يعتقد البعض سبق لسان. إن ظاهرة القلب التي نتعودها في عاميتنا نجدها تؤثر كثيرا في السنة المتدربين.

ولاسيما أننا إذا عاينا بعض المتكلمين نجد مجموعة من الكلمات لا يستهان بعدها تستعمل في عاميتنا وفي لهجاتنا لكن هذه الكلمات كثيرا ما تتعرض إلى مظهر القلب المكاني. ونرى من اللائق ذكر بعضها لتأكيد هذا التصور فكثيرا ما تقول العامة السمش بدل الشمس، العزج بدل العجوز، ينعل إبليس بدل يلعن إبليس ، النول بدل اللون ...، إن المتأمل في الأمثلة السابقة يدرك أنها كلمات فصيحة أصحابها القلب للأسباب التي ذكرنا آنفا

1 - القيامة [22-23]

2- انظر: جلال الدين السيوطي، (1998م)، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، تج: فؤاد علي منصور

، مج1، ط1، دار الكتب العلمية ، بيروت، ص357-360

و لكن الانتقال بهذه الكلمات إلى اللغة الفصحى عند المتدرسين ينتج عنه أثر سلبي و
بخاصة إذا كان بين الكلمتين دالتان مختلفتان.

وإذا كان القلب حاصلًا بكثرة في مختلف اللهجات العربية؛ فإنه حاصل أيضًا في
اللغة الفصحى من ذلك ما جاء في كتاب شذا العرف في فن الصرف للحملاني مثل: "الكلمتين جاه ووجه، وأيس ويئس، وواحد وحادي ..."¹، وأظن أن هذا القلب المكاني في
الصرف العربي راجع في أساسه إلى تحقيق مبدأ الخفة الذي ترى العربي يهرع إلى تحقيقه
كلما وجد إلى ذلك سبيلا.

وجاء في الفصحى كلمات كثيرة فيها قلب لكنها تحتفظ بنفس الدلالة و منها ما ورد
في كتاب المزهري قوله: "نحو جذب وجذب ، أطيبة وأيطبة ، مكبل ومكلب ، مكرفهف ومكفرهف ،
كبكب و كبكب ، ربض ورضب ، صاعقة وصاقعة ، وعميق ومعيق ..."²

مظهر القلب إذا مظهر صوتي صر في معاً أساسه الخفة أو أن العرب نطقت الكلمة
على وجهين ، وبصرف النظر عن هذا الاعتقاد يظل مظهر القلب طبيعياً عند العرب سواء
في لهجاتهم القديمة أو الحديثة و لكن أثر القلب المتسرب إلى ألسنة المتدرسين حين
يتكلمون الألفاظ مقلوبة يكون سلبياً إذا بقي القلب المتسرب إلى ألسنة المتدرسين حين
يتكلمون الألفاظ مقلوبة في الفصحى وهي لم تكن مستعملة على ذلك النمط ويكون الأثر
أكبر حين ينتج عن القلب تغير جذري للدلالة المتعارف عليها.

بقي القول: إن المستوى الصوتي حافل بالانحرافات الطارئة على الألسن عند
المتكلمين بالفصحى من المتدرسين وغيرهم وما ذكرتمثيلاً لهذا المستوى بالقلب أو الإبدال
يظل في واقع الأمر سطراً من قمطر.

5. المستوى الصر في :

يصنف اللسانيون القدماء والمحدثون الصرف في الموقع الثاني من حيث ترتيب
المستويات اللسانية: نظراً لأهميته وأثاره الكبيرة في تحقيق الخطاب، ولهذا يعيش المتدرس
ازدواجية في هذا المجال أيضاً مادام النمط الصر في الذي يمارسه في الواقع اللساني بعيداً

1- انظر: أحمد الحملاني، (2000م)، شذا العرف في فن الصرف، تج: عبد الحميد هندراوي، ط3، دار

الكتب العلمية، بيروت ، ص22

2- انظر: جلال الدين السيوطي، (1998م) ، المزهري في علوم اللغة وأنواعها، مج1، ص:367

عن المدرسة يختلف اختلافا كبيرا عن واقع التمدرس، و من هنا يظهر الخلل الصرفي في السنة المتدربين .

إذا أردت أن أعين المستوى الصرفي الموجود في لهجاتنا العربية و ربطه باللغة الفصحى؛ فإنني أقتصر على ذكر بعض الأمثلة سعيا مني لتحديد الآثار السلبية بفعل العادات اللغوية الناجمة عن العامية، ففي الغرب الجزائري على سبيل المثال و أظن أن هذا الطرح يكاد يمس الكثير من المناطق العربية؛ إذ الملاحظ أن استعمال الضمير أنتم و أنتن و هن و استعمال الخطاب الخاص بالمشي المؤنث ليس له ضابط في العامية إلا من سياق الكلام وهذا هو المتعارف عليه عند العامة ولكن المتدربين يتحتم عليهم استعمال لغة صحيحة فصيحة فيصطدمون بواقع العادة؛ الأمر الذي يسبب أخطاء كثيرة تتسرب إلى الألسنة لأن اللغة العربية الفصحى فيها لكل خطاب معين ضمير محدد.

ففي العامية مثلا؛ تعودنا القول: يُكْتُبُو بدل يَكْتُبُون، فنلاحظ كيف يتعلم التلميذ شيئا جديدا بخلاف ما كان يعرفه في اللهجة . فلا بد أن يعرف أن الفعل المضارع يرفع بثبوت النون في مثل: يكتبون والواو فاعل، وفي مثل: يكتبان والألف فاعل، وتكتبن والياء فاعل وهذا الفعل ينصب بحذف النون نحو: لن تكتبوا، ويجزم بحذفها أيضا نحو: لم تكتبوا. فلنتأمل إذا كيف يجد المتدربون أنفسهم مع تغيرات جذرية لحقت معارفهم ليست على الإطلاق مثل ما يتكلمون به خارج المدرسة، وهذه الازدواجية اللغوية لا شك أنها تسبب اضطرابا في ألسنتهم بفعل حواجز العادات اللهجية . ولا بأس من اختيار ما جاء به ابن مالك في ألفيته حول نون الأفعال الخمسة التي لا وجود لها في العامية فهو يقول :

واجعل لنحو يفعلان النونا *** رفعا كتدعين وتسألونا

و حذفها للجزم والنصب سمه *** كلم تكوني لترومي مظلمه¹.

إن الأمثلة حول الاختلافات بين اللهجات العربية الحديثة و اللغة الفصحى لا حصر لها و نرى من المنطقي أن نضيف أمثلة أخرى ، ولنتختر منها كيفية بناء الفعل للمجهول، فالفعل الثلاثي مثلا نحو: كتب، على المتدرب أن يتعلم قاعدة مفادها أن هذا الفعل كغيره من الأفعال الثلاثية الصحيحة يضم أوله و يكسر ما قبل آخره إذا كان ماضيا نحو

1- انظر: ابن عقيل، (1980م)، شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، تح: محمد محيي الدين عبد

الحמיד، ج1، ط20، دار التراث، القاهرة، ص78-79.

كُتِبَ و سُمِعَ ...، وإذا كان مضارعاً يُضَمُّ أوله و يفتح ما قبل آخره نحو؛ يُكْتُبُ و يُسَمِعُ ...¹ وهذا الشكل الصرفي موجود في الفصحى، ولكن لغة الواقع التي نعني بها اللهجة لا تحوي هذا النمط الصرفي، فالفعل المجهول يكون نحو؛ [نُكْتُبُ] و [يُنْكُتُب] ومن هنا يبدو جلياً أن هذه الازدواجية تترك آثاراً سلبية الأمر الذي يجعل نوعاً من الصعوبة بسبب العادات النطقية التي تكون حتماً مفروضة في لغة المتدربين من حيث يدرون أو لا يدرون، و على المعلمين أن يتهيؤوا لإيجاد الأخطاء الصرفية في تعابير التلاميذ الشفوية و الكتابية .

أما الحديث عن صياغة اسم الفاعل واسم المفعول مثلاً؛ فكذلك يختلف شكلهما من العامية إلى الفصحى في كثير من الصيغ، الأمر الذي يرهق التلاميذ أيضاً.

تظل الأمثلة الخاصة بالمستوى الصرفي هي أيضاً كثيرة و إذا ما أردنا الاستشهاد ببعضها حين المزيد من الحديث عن الآثار السلبية البارزة في ألسن المتعلمين نقترح الدرس الخاص بالمدود أين تذكر كتب اللغة: أن المدود المؤنث كحمراء و صفراء يؤنث بقلب الهمزة واوا مع إضافة الألف و النون رفعا، والياء و النون نصبا و جرا ، مثال: حمراء حمراوان، و تقلب الهمزة واوا مع إضافة الألف و التاء عند الجمع فتقول: حمراء حمراوات²، علماً أن هذه القاعدة لا وجود لها في لهجاتنا أو عاميتنا، ونكاد نجزم أن هذه القاعدة غير موجودة في العامية على الأقل في بعض المناطق العربية التي تمت معابنتها. وعليه فإن المتدربين في مختلف المراحل يتفاجأون بدرس المدود و بقاعدته التي تم الاتفاق عليها عند علماء اللغة و لذلك يعيشون ازدواجية تحجزهم عن التحكم في اللغة الفصحى في هذا الباب و غيره من الأبواب الصرفية التي ذكرنا والتي لم نذكر؛ لأن الأبواب كثيرة لا يتسع المقام لذكر الأكثر.

6. المستوى النحوي:

لعلنا نتفق جميعاً على أن النحو هو قلب اللغة العربية، ولا يختلف اثنان في أن تعلم النحو يشكّل صعوبةً مشتركة لدى كثير من المتعلمين في مختلف المراحل التعليمية.

1-انظر: ابن هشام الأنصاري، (2011م)، قطر الندى وبل الصدى ، تح: محمد محيي الدين عبد

الحميد، دط، المكتبة العصرية، بيروت، ص 208-209

2-انظر: شذا العرف في فن الصرف (2000م)، ص 126- انظر: مصطفى الغلاييني، (2012م)، جامع

الدروس العربية، تح: علي سليمان شبارة، ط1، مؤسسة الرسالة، دمشق، سوريا ، ص 242

فالأكد أن نسبة قليلة تتحكم في القواعد النحوية لأسباب متعددة ليس المقام مناسباً للوقوف عندها، لكننا نظن أن ازدواجية النحوية الموجودة في العامية والفصحى هي كذلك سبب رئيس أسهم بالقدر اللازم في الصعوبة والتعقيد عند ممارسة القاعدة النحوية أثناء التكلم بالفصحى؛ لأن الشخص يجد نفسه مخطئاً في ضبط الكلمات بالرفع والنصب والجر والجزم؛ لأن هذا التعامل ليس دائماً وإنما هو مؤقت . عادة اللهجة أو العامية تلعب دوراً سلبياً يظهر بجلاء في ألسنة المتحدثين بالعربية الفصحى فلا يتحكمون عندئذ في القواعد النحوية التي يتعلمونها؛ لأنها تعتبر جديدة ما دام الكثير منها -إن لم نقل كلها- ليس لها وجود في اللهجة التي طالما تعودوها فهي بعيدة كل البعد عن اللغة العربية الفصحى.

فلنتأمل معاً أسلوب النفي الموجود بين العامية والفصحى فإننا قد تعودنا النفي بأن نسبق الفعل بميم وختمه بشين فهي تخفيف للكلمة "شيء" حسب تحليلنا المتواضع فتقول على سبيل المثال: (ماكتبتش) ومرادفها باللغة الفصحى (لم أكتب)، وللإشارة فإن (أكتب) فعل مضارع مجزوم بلم وعلامة جزمه السكون، أما لم فهي حرف نفي و جزم و قلب، ويعني النحويون بالقلب تحويل دلالة الفعل من المضارع إلى الماضي، ولذا يبدو الفرق واضحاً بين استعمال هذا النوع من النفي بين اللهجة والفصحى ولا شك أن القاعدة النحوية الفصيحة المذكورة تكون جديدة فيستقبلها المتعلم على أنها لغة جديدة تجعله يمارس ازدواجية بين لغة الواقع ولغة التعليم .

يمكننا إضافة مثال آخر باقتراحنا الجملة الآتية (جاءوا الأولاد). فلنتأمل لهذه الجملة يلاحظ أن الفعل متصل به ضمير ثم يذكر الفاعل وهذا النمط معتاد في الأساليب اللهجية لكنه في استعمال الفصحى يعد نادراً شاذاً كما هو الحال عند لغة طيء وكعب بن الحارث وأسد فيقولون: (جاءوا الأولاد) أو كما يطلق عليها لغة أكلوني البراغيث لكن المتدربين تفرض عليهم لغة الإجماع فيقال: (جاء الأولاد) وليس (جاءوا الأولاد) ، وإن كان القرآن الكريم جاء بهذه اللغة النادرة حين قال تعالى: "وَأَسْرُوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا"¹، أو قوله صلى الله عليه وسلم: "يَتَعَاقَبُونَ فِيكُمْ مَلَائِكَةٌ بِاللَّيْلِ وَمَلَائِكَةٌ بِالنَّهَارِ"². و خلاصة

1- سورة الأنبياء [03]

2- محمد بن إسماعيل البخاري، (1993م)، صحيح البخاري، المحقق: د. مصطفى ديب البغا، ج6، ط5.

دار ابن كثير، دار اليمامة - دمشق ، ص 2721

القول أن المتدرسين يعانون من هذه الازدواجية الموجودة بين اللغة الواقعية المستعملة في الحياة اليومية واللغة الفصحى لغة المدرسة والتعليم ويسود الاعتقاد أن هذا المعطى يجلب هو الآخر نوعاً من التعقيد أثناء الممارسة الفعلية لهذه القاعدة اللغوية.

إن هذه الأمثلة ما هي إلا نموذج نؤكد من خلاله كيف تكمن الصعوبة في تطبيق القواعد النحوية ولعل الحديث عن موضوع التذكير والتأنيث يظل هو الآخر حديثاً ذا شجون إذ نجد الكثير من الكلمات الفصيحة تستعمل في اللهجة أو في العامية بشكل عام مذكرة وهي في الفصحى مؤنثة كما أن الكثير من الكلمات مؤنثة في العامية نجدها مذكرة في الفصحى، و لتجلية هذا المظهر الموجود بين العامية والفصحى يمكننا ذكر بعض الأمثلة ومنها: كلمة ربح و إن كانت في الفصحى قابلة للتذكير والتأنيث والغالب هو التأنيث لكن في عاميتنا تستعمل مذكرة فنقول: ربح بارد أما في الفصحى؛ ربح باردة، و دليل ذلك قوله تعالى في سورة الحاقة: "وَأَمَّا عَادٌ فَأَهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ"¹.

بالإضافة إلى كلمة فأس، كأس، قدم، ساق، فخذ ...، هذه كلمات فصيحة تستعمل في العامية بالتذكير ولكنها في الفصحى مؤنثة وبذلك يقع المتدرسون و مستعملوا اللغة الفصحى بشكل عام في خلط كبير أثناء تطبيق اللغة سواء في التعبير الكتابي أو الشفوي، وبناء عليه يكمن اللبس الحاصل بسبب الازدواجية اللغوية التي يعيشها هؤلاء المتعلمون².

7. المستوى الدلالي:

إن مجالات الدلالة كثيرة ولذا نود الاختصار على المستوى الدلالي من الناحية المعجمية للألفاظ إذ توجد في اللهجات العربية والعامية كلمات فصيحة لا حصر لها تستعمل في العامية، والمتعلمون يعتقدون أنها عامية فلا يستعملونها في الفصحى، وهناك كلمات في قمة الفصاحة لكنها تستعمل في العامية بدلالة تختلف عن الدلالة المراد لها في الفصحى، ولا بأس من ضرب بعض الأمثلة لتعزيز هذا الاعتقاد نحو: الفعل طنز الذي نعني به سخر³. وقد يستعمل في إحدى العاميات كما هو الحال في بعض مناطق الغرب الجزائري

1- سورة الحاقة [06]

2- عبد الواحد وافي، فقه اللغة، ص: 119-125

3- نخبة من اللغويين بمجمع اللغة العربية بالقاهرة، (1972م)، المعجم الوسيط، ج2، ط2، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ص 567

كلمة فاتن والتي تعني خاصم أو بارز¹، وحشم التي تعني استحي²، وكلمة حرز التي تعني صان الشيء و حماه³.

تبقى هذه الأمثلة قليلة جدا مقارنة بالكم الهائل من الكلمات لأن سعيينا هو ذكر نماذج فقط نثبت من خلالها الصلة الموجودة بين الفصحى و العامية و كيفية تعامل المكتسبين للفصحى سواء أكانوا متدرسين أم متعلمين أم مستعملين لها، فلو أحصينا هذه الكلمات التي هي في قمة الفصاحة و نحن نخالها لهجة فهملها :لأدركنا أننا قادرون على إثراء هذه اللغة و توسيعها ،ولأصبح لدينا هامش كبير من الحرية يمكننا من التحكم أكثر بتعابير متنوعة .

تحدثنا عن الكلمات الفصيحة التي نراها عامية و التي تحتفظ بنفس الدلالة بين العامية و الفصحى ، لكن هناك نمط آخر من الكلمات يتمثل في ألفاظ فصيحة هي الأخرى تختلف معانيها من اللهجة إلى الفصحى، و من الكلمات التي نود أن نجعلها نموذجا مثل كلمة: بهلول التي تؤكد المعاجم اللغوية القديمة على الأقل أنها تعني السيد الكريم الجامع لصفات الخير غير أن استعمالها في العامية يعني المجنون، وهناك ألفاظ تستعمل في الفصحى دلالة معجمية معجمة كالطهارة التي تعني تنظيف المكان و الثوب من الأوساخ لكن كلمة الطهارة في العامية تخصصت دلالتها و أصبحت تعني الختان.

أكد أن المتصفح للمعاجم اللغوية القديمة أو الحديثة يجد الكثير من الكلمات الفصيحة المهملة في واقعنا اللغوي الخاص بالتعليم، و إن كنا نستعمل بعضها على الأقل في عاميتنا و ما الأمثلة المذكورة سلفا إلا جزء يسير من رصيد كثير، ناهيك عن الألفاظ الفصيحة التي تتعرض في لهجاتنا العربية المختلفة إلى قلب أو لحذف أو لتخفيف أو لإبدال، ونظن أن هذه الخصائص مظاهر خفة تميز اللهجة العامية عن اللغة الفصحى، وكلها تلعب دورا سلبيا في الغالب الأعم؛ لأنها تكون حاجزا أمام اكتساب المهارة للمتمدرسين حين يريدون تعلم اللغة الفصحى على الوجه الأكمل .

بناءً على ما تقدم في هذه الدراسة المتواضعة نلاحظ جليا أنّ كل مستوى من المستويات اللسانية سواء المستوى الصوتي أو الصرفي أو النحوي أو الدلالي المعجمي قد

1- المصدر نفسه، ج2، ص 163

2- المصدر نفسه، ج1، ص 167

3- المصدر نفسه، ج1، ص 166

أصابه تغيير إلى درجة الانحراف، ولعل الأمثلة المختلفة التي وردت ما هي إلا نماذج أردنا من خلالها تبين العلاقة بين العامية و الفصحى وذلك : لإدراك الآثار التي أسهمت في ترك اضطراب في مستوى الأداء اللساني عند المتعلمين.

خاتمة:

لقد توصلت هذه الدراسة، التي اعتمدت المنهج الوصفي التحليلي، إلى إثبات العلاقة التأثيرية السلبية للغة العامية على اكتساب اللغة العربية الفصحى لدى المتعلمين في الوسط المدرسي. تكشف النتائج التحليلية أن هذا التأثير لا يقتصر على مستوى واحد، بل هو ظاهرة تداخل لغوي شامل يمس جميع المستويات البنيوية للغة.

أهم النتائج العلمية

تتجسد النتائج الأساسية لهذه الدراسة في النقاط الآتية:

1. ثبوت الأثر السلبي الشامل: أثبتت الدراسة أن اللغة العامية تؤثر سلبيًا وبشكل جذري على اكتساب الفصحى، وأن هذا التأثير شامل يطال المستويات الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية، مما يؤدي إلى اضطراب في الأداء اللساني لدى المتعلمين.
2. الانحراف الصوتي والدلالي: يمثل المستوى الصوتي البوابة الأولى للانحراف، حيث تؤدي العادات النطقية العامية (مثل الإبدال بين الحروف المتقاربة كالضاد والطاء أو الغين والقف، والقلب المكاني (إلى أخطاء فادحة في نطق الفصحى، ويزداد الخطر عندما يؤدي هذا الإبدال إلى اختلال دلالي جذري للكلمة، خاصة في النصوص التراثية أو القرآنية.
3. الازدواجية الصرفية والنحوية:
 - صرفياً: تعود المتعلمين على الأنماط الصرفية العامية (مثل إهمال نون الأفعال الخمسة، أو التبسيط في استعمال الضمائر، أو الاختلاف في بناء الفعل للمجهول) يضع حاجزاً أمام ضبط القواعد الفصيحة المتعلقة بالمتنى والجمع، وإعراب الأفعال المضارعة.
 - نحويًا: يظهر تأثير العامية في عدم التحكم في ضوابط الإعراب (الرفع والنصب والجذر) وبعض المسائل الجوهرية كظاهرة التذكير والتأنيث للأسماء المشتركة بين النمطين، أو استخدام أساليب غير فصيحة (كلغة "أكلوني البراغيث") في سياق وجوب الإجماع الفصيح.
4. التدهور المعجمي (الجهل بالاستثمار): هناك هجر لغوي للعديد من الألفاظ الفصيحة التي لا تزال تُستخدم في العامية، لاعتقاد المتعلم أنها عامية صرفة. وهذا الإهمال يؤدي إلى فقر معجمي في رصيد الفصحى.

5. التخصص الدلالي العامي: أكدت الدراسة وجود تحولات دلالية لبعض الألفاظ الفصيحة (مثل "بهلول" و "طهارة")، حيث تخصص دلالة الكلمة في العامية لتختلف جذرياً عن معناها المعجمي الأصلي، مما يزيد من اللبس لدى المتعلم عند مواجهتها في سياق الفصحى.

التوصيات

بناءً على النتائج المستخلصة، توصي الدراسة بما يلي:

1. ضرورة التعليم المقارن: إدراج منهجية التحليل المقارن بين الفصحى والعامية في حصص اللغة لتبصير المتعلم بنقاط الالتقاء والافتراق بين النمطين، وكشف مظاهر الإبدال والقلب لتصحيحها نطقياً.
2. تكثيف الممارسة الشفوية: زيادة حجم التعبير الشفوي الموجه والمضبوط بالفصحى داخل المؤسسات التعليمية، لكسر حاجز العادة اللغوية العامية.
3. إثراء الرصيد المعجمي (التوظيف): العمل على إعادة توظيف الكلمات الفصيحة التي تُهمل ظناً بأنها عامية، من خلال استثمار المعاجم اللغوية في الفصل لربط المتعلم بجذور لغته الأصيلة.

المراجع

1. إبراهيم أنيس، (2002م)، في اللهجات العربية، دط، مكتبة الأنجلو مصريه، مصر.
2. ابن منظور، (1990م)، لسان العرب، ط1، دار صادر بيروت، لبنان.
3. ابن هشام الأنصاري، (2011م)، قطر الندى وبل الصدى، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، دط، المكتبة العصرية، بيروت.
4. أحمد الحملوي، (2000م)، شذا العرف في فن الصرف، تح: عبد الحميد هنداوي، ط3، دار الكتب العلمية، بيروت.
5. جلال الدين السيوطي، (1998م)، المزهري في علوم اللغة وأنواعها، تح: فؤاد علي منصور، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت.
6. عبد الرحمن الحاج صالح، (2010م)، العربية بين المشافهة والتحرير، مجلة فيلادلفيا، الملكة الأردنية الهاشمية، العدد 6،
7. علي عبد الواحد وافي، (2004م)، فقه اللغة، ط3، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، مصر.
8. علي ناصر غالب، (1989م)، اللهجات العربية لهجة قبيلة أسد، ط1، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد.
9. الفيروز آبادي، (2005م)، القاموس المحيط تحق: محمد نعيم العرقسوسي، ط8، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان.
10. محمد علي الخولي، (2000م) مدخل إلى علم اللغة، ط1، دار الفلاح للنشر والتوزيع، عمان.
11. نخبة من اللغويين بمجمع اللغة العربية بالقاهرة، (1972م)، المعجم الوسيط، ط2، مجمع اللغة العربية بالقاهرة.
12. محمد بن إسماعيل البخاري، (1993م)، صحيح البخاري، المحقق: د. مصطفى ديب البغا، ط5، دار ابن كثير، دار اليمامة - دمشق.
13. مصطفى الغلاييني، (2012م)، جامع الدروس العربية، تح: علي سليمان شبارة، ط1، مؤسسة الرسالة، دمشق، سوريا.

14. ابن عقيل ، (1980م) شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، تح: محيي الدين عبد الحميد، ط20، دار التراث، القاهرة.